الصحافة الاستقصائية نمط مستحدث
في الصحافة المصرية
دراسة للواقع والاشكاليات من منظور المحررين الاستقصائيين

إعداد

حسين محمد ربيع عثمان

ضمن متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه فى الآداب - إعلام

مقدمة:

أشار التقرير الثاني للجنة الشفافية والنزاهة التابعة لوزارة الدولة للتنمية الإدارية في مصر إلي أن الفساد ظاهرة متشعبة ومعقدة[1]، وتختلف وسائله في الزحف داخل المجتمعات وإعادة إنتاج نفسه، وأن سياسات مواجهته ليست باليسيرة، إذ ترتبط بمسار وسلوكيات وليس فقط بقرار، وتتقاطع مع مؤسسات وجهات رسمية وغير رسمية عديدة، ويتولي فاعلون مختلفون في الأهداف والتوجهات وضع سياسات مكافحته، مما يتطلب ضرورة إشراك العديد من الجهات في التوجهات التي تعمل علي وضع السياسات لمكافحته.

ولعل الصحافة الاستقصائية تعد أحد الأطراف الفاعلة في العملية الديناميكية في مواجهة الفساد لكونها تمثل السلطة الرابعة في المجتمع والمعبرة عن ضميره والمحافظة علي مصالح أفراده، وعلى الرغم من الاهتمام الملحوظ من قبل وسائل الإعلام بصفة عامة والصحافة بصفة خاصة بتناول قضايا الفساد والانحرافات علي المستويين الرسمي وغير الرسمي -لاسيما في السنوات الأخيرة والتي زادت بعد ثورة ٢٥ يناير- إلا أنه يمكن القول إن الصحافة الاستقصائية لا تزال تمثل حلقة مفقودة في الكشف عن قضايا الفساد ذات الصلة بمصالح المواطن البسيط والإسهام في معاقبة المتسببين فيها، وبصفة خاصة فى مواجهة ظاهرة فساد استشرت فى مختلف قطاعات الدولة وأدت إلى إهدار الثروة العامة ولعلها أبرز الأسباب التى قادت إلى اندلاع ثورة ٢٥ يناير ٢٠١٢.

وفي ظل الضعف -الأشبه بالغياب- للصحافة الاستقصائية في وسائل الإعلام المصرية وبصفة خاصة الصحافة، تأتي أهمية دراسة العوامل وتحليلها والمعوقات التي أدت إلي عدم الاهتمام الكافي بأسلوب الصحافة الاستقصائية في الممارسة العملية، لا سيما وأن العديد من الخبراء والمتخصصين يعدون الصحافة

الاستقصائية أحد أبرز الآمال في استمرار الصحافة المطبوعة علي الساحة فى منافسة والوسائل الأخري التقليدية والتكنولوجية، حيث باتت ضرورة أمام الصحافة المطبوعة فى ظل منافسة هذه الوسائل التى تقدم السبق والإعلام والأخبار بكفاءة لم تترك أمام الصحافة المطبوعة سوي التحليل والتوثيق والبحث المعمق كحلول للتميز والانفراد، أو علي حد تعبير الأستاذ "صلاح الدين حافظ"[٢] "قبل أن تتحقق النبوءة القائلة أن حضارة الورق قد انتهت وبدأت حضارة الشاشة".

مفهوم الصحافة الاستقصائية:

عند محاولة رصد التعريفات التى قدمها المتخصصون "أكاديميون وممارسون" للصحافة الاستقصائية، نجد أن هذا المفهوم مثل بقية المفاهيم والمصطلحات فى مجال العلوم الاجتماعية، حيث تتعدد تعريفاته وتتنوع وجهات النظر حوله بتعدد الزوايا وتنوعها التى يتم النظر إليه من خلالها.

وعموما، يعد هذا النوع من الصحافة من الأشكال التى لديها القدرة على الإسهام الجدير بالاهتمام فى بناء المجتمع من خلال لفت الانتباه إلى الفشل فى إدارة أنظمة المجتمع والطرق التى يمكن من خلالها التحايل على تلك الأنظمة من قبل الأغنياء والأقوياء والفاسدين[٣]، وهنا ينظر "Malarek" إلى الصحافة الاستقصائية على أنها "دون شك من أثمن ما يمتلكه الإعلام الإخبارى"[٤]، ويرى "Tanner" أنها "قمة الصحافة" The Pinnacle of Journalism[٥].

ويعرفها رئيس المركز الدولى للصحفيين "David Nabel" بأنها "مجرد سلوك منهجى ومؤسساتى صرف، يعتمد على البحث والتدقيق والاستقصاء حرصا على الموضوعية والدقة، وللتأكد من صحة الخبر وما قد يخفيه انطلاقا من مبدأ الشفافية ومحاربة الفساد، والتزاما بدور الصحافة كـ"كلب حراسة" على السلوك الحكومى، وكوسيلة لمساءلة المسئولين ومحاسبتهم على أعمالهم خدمة للمصلحة العامة، ووفقا لمبادئ قوانين حق الإطلاع وحرية المعلومات"[٦]، كما يعرفها "David Spark" بأنها الصحافة التى تسعى إلى جمع الحقائق التى يريد شخص ما حجبها، بحيث تكون هذه الحقائق مثيرة للجدل والقلق بما يكفى للكشف عنها[٧].

وعلى الرغم من صعوبة الاتفاق على تعريف واحد للصحافة الاستقصائية من وجهة النظر الغربية، إلا أن هناك اتفاقا بين هذه التعريفات على مجموعة من المبادئ التى تدور حولها الصحافة الاستقصائية، منها[٨]:

- أنها تهتم بالتغطية المتعمقة للقضايا الجادة التى تمس الصالح العام.
- تغطية صحفية استباقية (Proactive journalistic enterprise) للكشف عن معلومات يريد شخص أو جهة ما إخفاءها.
- عملية طويلة الأجل من التخطيط وجمع المعلومات والتثبت من صحتها باستخدام مجموعة متنوعة من المصادر.
- تطبق تقنيات أكثر تطورا فى البحث والتقصى فى المعلومات التى تم الحصول عليها من أحد المصادر.
- التحقيقات الصحفية الاستقصائية يجب أن تكون بعيدة عن المصالح الخاصة، بل يجب أن تكون لخدمة الصالح العام، وتسهم فى إثراء النقاش العام.
- التحقيقات الصحفية الاستقصائية يكون لها جدول أعمال (أجندة) للكشف عن المخالفات والانحرافات بهدف إحداث تغيير إيجابي من خلال النقاش العام الواعي.

وتستمد الصحافة الاستقصائية مبررات وجودها من أغراضها؛ سواء كان:

- لإحداث تغيير إيجابى فى القوانين الإعلامية القائمة، أو لكشف الفساد[٩].
- أو للكشف عن شئ ما لم يتم كشفه من قبل[١٠].
- أو لكشف الحقيقة وتحديد النقاط الخاطئة فيها[١١].
- أو لتبصير الجمهور ومن ثم تفويضها فى الدفاع عنه[١٢].
- لتحقيق توازن دقيق بين المسئولية الاجتماعية، والدور الرقابى لوسائل الإعلام، وحقوق الإنسان، التى تشمل الحق فى حرية التعبير والحق فى المصلحة العامة، الالتزامات التجارية، والسلوك الأخلاقى للصحفيين[١٣].

وبصفة عامة، تتطلب المعالجة الصحفية الجادة والنشطة لقضايا الفساد إعدادا وتمرسا خاصا للمحررين الصحفيين الذين يوكل إليهم هذه المهام، وذلك نظرا إلي تعقيد هذه القضايا لارتباطها غالبا بالنواحي الإدارية والمالية المعقدة بطبيعتها من ناحية، والفترة الزمنية الطويلة نسبيا التي تأخذها هذه القضايا حتى تكتمل أركانها من ناحية أخري، فإذا لم يكن الصحفي مطلعا علي هذه الجوانب، ويتمتع بحاسة إخبارية متميزة تتيح له القدرة علي تحديد المعلومات وتقيمها والكشف علي مكانها وتتبعها، فإن قدرته علي التعامل مع هذه النوعية من القضايا سوف تصبح محدودة، فهي قضايا تحتاج تغطيتها إلي المهارة والحركة والقدرة علي المناورة والتعامل بصفة عامه مع الحدث بفعلية المشاركة في صنع هذا الحدث وليس مجرد نقله[١٤].

الدراسات السابقة:

على الرغم من تعدد الدراسات الأكاديمية الإعلامية وتنوعها التى تم إنجازها وأضاف بها أصحابها رصيدا علميا للمكتبة الإعلامية العربية، وعلى الرغم من أن هذه الدراسات أجمعت على الدور البارز للصحافة بما تقدمه من أخبار وتقارير وتحقيقات ومقالات وأعمدة فى كشف الكثير من القضايا وفتح العديد من الملفات المهملة أو التى يحرص بعض المسئولين على إخفائها عن الجمهور، إلا أنه لم تخصص دراسة مستقلة ترصد حدود المعالجة الاستقصائية فى الصحف المصرية والتعرف على أبعادها وتتتبع أنماط ممارستها فى تلك الصحف، حيث لاحظ الباحث غياب الدراسات العلمية التي تهتم بهذا النمط من التحرير الصحفي، الذي ربما يعود إلي غياب ممارسة هذا النمط في وسائل الإعلام العربية من الأساس.

وبعد مراجعة الدراسات السابقة التي مثلت نقاط تماس مباشر مع موضوع هذا البحث وأغلبها دراسات أجنبية، يمكن تقسيم أبرز هذه الدراسات إلى محورين كالتالي:

- **أولا: دراسات اهتمت بالتتبع التاريخي لنشأة الصحافة الاستقصائية وتطورها والمراكز الداعمة لها:**

تضمنت دراسات كل من Guia Baggi (٢٠١١)[١٥]، وGerry Lanosga (2010)[١٦]، وGerry Lanosga (٢٠٠٩)[١٧]، وAndrew Kaplan (٢٠٠٨)[١٨]، وMark Feldstein (٢٠٠٦)[١٩]، وJames Aucoin (1993)[٢٠]، خلصت هذه الدراسات إلي مجموعة من النتائج لعل أهمها: أن بروز مصطلح "الكشف" Exposé ارتبط بقوة بمطالب الصحفيين والمؤسسات الصحفية بحرية الحصول على المعلومات، بالإضافة إلى أن الخلط بين الإعلام الوطنى والإعلام العام أدى إلى خلق صورة مشوهة عن حيوية التحرير الاستقصائي خلال فترة كبيرة من القرن العشرين، وأن استمرار هذا النوع من الصحافة وازدهاره يتطلب من الإعلام التنافسى أن يتحد مع القوى الاجتماعية، بالإضافة إلي أن الصحافة الاستقصائية الجادة والجوهرية أحد أكثر الوظائف حيوية للصحافة الحرة التى تعد حصن الديمقراطية الذي يمكن أن يسهم فى تحقيق تغييرات اجتماعية مهمة وبطريقة سلمية، كما ثبت أن لها دورات ظهور واختفاء بحيث تقوى فى مراحل سياسية معينة وتضعف فى مراحل أخرى.

- **ثانيا: دراسات اهتمت ببحث واقع ممارسة الصحافة الاستقصائية والعوامل المؤثرة فيها:**

تضمنت دراسات كل من Jingrong Tong (٢٠١١)[٢١]، و Samuel Ihediwa (٢٠١١)[٢٢]، وشيم قطب (٢٠١٠)[٢٣]، Jingrong & Colin (٢٠٠٩)[٢٤]، وBarry Saunders (٢٠٠٦)[٢٥]، وخلصت هذه الدراسات إلي مجموعة من النتائج أبرزها: أن الطريقة التي تنظر بها الصحافة تجاه الصحافة الاستقصائية تخضع لدرجة مرتفعة من التأثر بالثقافة المحلية وثقافة غرف الأخبار وموقف الصحافة من السلطة المحلية، كما أن الوضع الاجتماعي المحافظ يؤدي إلي مزيد من الممارسة المحافظة من قبل الصحافة، بالإضافة إلي أن هناك متغيرات عديدة أثرت علي تطور مفهوم وممارسة الاستقصاء فى الصحافة يدخل فى إطارها المناخ الديمقراطى وغياب ثقافة الإعلاء من شأن الحقيقة، بالإضافة إلى عوامل مهنية ترتبط بالسياسات التحريرية

السائدة فى المؤسسات الصحفية التى تتحكم فيها عوامل مثل التمويل وغياب التأهيل والتدريب، وعدم قناعة القائمين بالاتصال بجدوى العمل الاستقصائى، إلى جانب المناخ السائد نحو ممارسة الترغيب والترهيب ضد الصحفيين الاستقصائيين.

أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة:

بإيجاز يمكن تحديد أهم أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة علي ثلاثة مستويات، كالتالي:

- المستوي الأول: خاص بما قدمته هذه الدراسات من مفاهيم ومصطلحات حول الصحافة الاستقصائية وواقع ممارستها والعوامل المؤثرة فيها؛ حيث أسهمت هذه الدراسات في تحديد الباحث للمفاهيم الخاصة بممارسة الصحافة الاستقصائية والمبادئ والأسس التي تنطلق منها، فضلا عن تتبع نشأتها وتطورها في التجارب المختلفة من العالم، فيما مكن الباحث من توظيفها وتطويرها في شكل محاور وتساؤلات شملها دليل المقابلة والاستبيان الخاصين بالدراسة الراهنة بالتطبيق علي التجربة المصرية.
- المستوي الثاني: يتمثل في الإفادة من الدراسات السابقة في تطوير مدارك الباحث بشأن متغيرات الدراسة، المتمثلة في العوامل المهنية وغير المهنية المؤثرة علي ممارسة الصحافة الاستقصائية، وإثارة جوانب ذات أهمية بهذه العوامل والمتغيرات، ورؤية الصحفيين الاستقصائيين لتأثير هذه العوامل علي واقع ممارسة الصحافة الاستقصائية ومن ثم رصد المستقبل المتوقع لهذا النمط من التحرير الصحفي في التجربة المصرية.
- المستوي الثالث: ويتمثل في الإفادة من الجوانب المنهجية للدراسات الميدانية التي انتهجتها معظم هذه الدراسات، والأساليب والأدوات البحثية والأطر النظرية، وكذلك التوظيف الأمثل للأساليب والمعاملات الإحصائية لاستخراج النتائج، مما أسهم في إخراج الدراسة الراهنة علي ماهي عليه الآن.

مشكلة الدراسة:

تعد وظيفة الرقابة وحراسة المجتمع وحمايته من إساءة استخدام السلطة من أهم الوظائف التى تضطلع بها الصحافة فى وقتنا الحالي من خلال مراقبة أداء

المؤسسات وتقديم التقارير والتحقيقات الاستقصائية التى تكشف المسئولين المتورطين فى قضايا إهدار المال العام والرشوة والغش والتزوير واستغلال النفوذ وغيرها من الجرائم التى تؤثر على المجتمع والمواطنين فى ظل هامش الحرية الممنوح لوسائل الإعلام ومنها الصحافة على القيام بدور بارز فى كشف العديد من القضايا وإطلاق الحملات الصحفية التى تطول مسئولين كبارا فى الدولة فى مختلف القطاعات، ومن هنا تنبع مشكلة الدراسة الراهنة، التي تتحدد فى: (دراسة الصحافة الاستقصائية كنمط مستحدث فى الصحافة المصرية من خلال رصد واقع ممارسة الصحافة الاستقصائية وتحليلها علي الصعيد الميداني والإشكاليات التي تواجه المحررين الاستقصائيين في عملهم الاستقصائي بالتطبيق علي بعض الصحف المصرية التي تأسست بها وحدات متخصصة في الصحافة الاستقصائية، وهي صحف الوطن والمصري اليوم واليوم السابع).

أهمية الدراسة:

- تستطيع الصحافة بما تتمتع به من قدر من الحرية مناقشة الكثير من القضايا وتسليط الضوء عليها، والتأثير فى الجماهير فضلا عن أنها تعد أداة رقابية هامة على أنشطة المؤسسات الحكومية وغير الحكومية، كما أنها تمارس دورا بارزا من خلال ما تتناوله من قضايا مهملة وفتح ملفات سرية فى التأثير فى صانعى القرار فى القطاعات الحكومية وغير الحكومية وتقديم المعلومات التى تدفع هؤلاء المسئولين إلى محاولة حل المشكلات وبحث القضايا التى تثيرها الصحافة، وبذلك فإن الصحافة الاستقصائية تسهم بدور رئيسى فى بناء أجندة المسئولين، ومن ثم تكتسب الدراسة الراهنة أهميتها من طبيعة الموضوع الذى تحاول التصدى له بالدراسة والتحليل.
- الصحافة الاستقصائية فى أحد تعريفاتها هى عمل صحفى منظم ومتعمق يهتم بالبحث فى أنشطة الحكومات والسياسيين ورجال الأعمال والأفراد الذين يعملون فى أنشطة عامة، ويعتمد هذا النوع من الفنون الصحفية على ضرورة التعاون بين الصحفيين والمؤسسات العامة التى تهتم بتقديم خدمات للجماهير، وهنا تأتى أهمية دراسة هذا الأسلوب

المعمول به فى وسائل الإعلام الغربية وعلى رأسها الصحف، كما تأتى أهمية الدراسة الراهنة فى أنها يمكن أن تسهم فى توضيح الرؤية أمام غالبية الصحفيين العاملين بالصحف المصرية على اختلاف أنماط ملكيتها ولفت انتباههم إلى الأسلوب الاستقصائى فى الممارسة الصحفية، وهو ما يمكن أن يدفعهم إلى القراءة حول هذا الموضوع وربما مطالبة الصحف التى يعملون بها إلى تنظيم دورات تدريبية لهم حول كيفية توظيف الأسلوب الاستقصائى فى التغطية الصحفية، ومن ثم تستند هذه الممارسة إلى أسلوب علمى بدلا من أن يكون عملهم الاستقصائى مجرد روتين يومى.

- تكمن أهمية الدراسة الراهنة فى عدم وجود دراسات أكاديمية عربية أو مصرية تعنى برصد ظاهرة الصحافة الاستقصائية العربية من خلال تحليل مدى ممارسة الصحف للأسلوب الاستقصائى فى معالجة القضايا المختلفة، حيث اقتصرت الدراسات على تناول دور الصحافة فى معالجة هذه القضايا بشكل عام، ومن ثم يمكن للدراسة الراهنة أن تفتح الباب أمام دراسات أخرى تهتم ببحث الأساليب الاستقصائية فى معالجة القضايا المختلفة.

أهداف الدراسة:

واقع ممارسة الصحافة الاستقصائية في الصحافة المصرية والإشكاليات التي تواجه المحررين الاستقصائيين في عملهم الاستقصائي، ويشتمل هذا الهدف علي مجموعة من الأهداف الفرعية التي تساعد علي تحقيقه **وذلك علي النحو التالي:**

- رصد وتحليل مدي تأهيل المحررين الاستقصائيين بالصحف المصرية لممارسة العمل الاستقصائي، والعوامل التي دفعتهم للتخصص في تنفيذ التحقيقات الاستقصائية علي الرغم من صعوبتها مقارنة بالفنون التحريرية الأخري.

- التعرف علي مصادر هؤلاء المحررين في اختيار أفكار التحقيقات الاستقصائية التي ينفذونها في الوحدات التي يعملون بها، والمسئول عن وضع خطة العمل بهذه الوحدات، ومدي تدخل إدارات تحرير الصحف في عمل هذه الوحدات.
- التعرف على مدى إدراك المحررين الاستقصائيين بالصحف المصرية لأهمية الصحافة الاستقصائية ودورها بالنسبة للمجتمع وللعمل الصحفي في مصر.
- التعرف علي تقييم المحررين الاستقصائيين بالصحف المصرية للقوانين المنظمة للعمل الصحفي في مصر، ومدي تأثيرها علي ممارسة الصحافة الاستقصائية وحماية الصحفي الاستقصائي.
- رصد تصورات المحررين الاستقصائيين فى الصحف المصرية للإشكاليات والعقبات التى تعترض طريقهم أثناء ممارسة عملهم الاستقصائي.
- التعرف على مدى لجوء المحررين الاستقصائيين بالصحف المصرية إلى أساليب استقصائية معينة للتغلب على العقبات التى تعترض طريقهم فى الحصول علي المعلومات أثناء تنفيذ تحقيقاتهم الاستقصائية.

تساؤلات الدراسة:

انطلاقا من نتائج الدراسات السابقة التي تم استعراضها، وسعيا إلى تحقيق أهداف الدراسة الراهنة، فإن الباحث وضع مجموعة من التساؤلات تؤدي الإجابة عنها في النهاية إلي تحقيق هذه الأهداف، ***وذلك علي النحو التالى:***

١. ما مدي تأهيل المحررين الاستقصائيين بالصحف المصرية لممارسة هذا النمط من التحرير الصحفي؟
٢. ما دوافع المحررين الاستقصائيين بالصحف المصرية للتخصص في تنفيذ التحقيقات الاستقصائية علي الرغم من صعوبتها مقارنة بالفنون التحريرية الأخري؟

٣. ما مدي حصول المحررين الاستقصائيين بالصحف المصرية علي دورات تدريبية متخصصة في التحرير الاستقصائي؟ وما موضوعات هذه الدورات والجهات التي أشرفت عليها؟

٤. ما مصادر المحررين الاستقصائيين ومعاييرهم في اختيار أفكار التحقيقات الاستقصائية التي تنفذها الوحدة؟

٥. من المسئول عن وضع خطة العمل فى وحدات الصحافة الاستقصائية بالصحف المصرية؟

٦. هل تتدخل إدارات التحرير بالصحف المصرية فى تحديد موضوعات التحقيقات الاستقصائية التى تنفذها الوحدات الاستقصائية بها؟

٧. ما مدى إدراك المحررين الاستقصائيين بالصحف المصرية لأهمية الصحافة الاستقصائية؟ وما رؤيتهم لدورها المفترض بالنسبة للمجتمع وللعمل الصحفي في مصر؟

٨. ما تقييم المحررين الاستقصائيين بالصحف المصرية للقوانين المنظمة للعمل الصحفي في مصر؟ ومدي دعمها لممارسة الصحافة الاستقصائية؟

٩. ما الإشكاليات والعقبات التى تعترض طريق المحررين الاستقصائيين بالصحف المصرية أثناء ممارسة عملهم الاستقصائي؟

١٠. ما الأساليب التي يستخدمها المحررون الاستقصائيون بالصحف المصرية للتغلب على العقبات التى تعترض طريقهم في الحصول علي المعلومات أثناء تنفيذ تحقيقاتهم الاستقصائية؟

نوع الدراسة ومنهجها:

تنتمى الدراسة الراهنة إلى نمط الدراسات الوصفية من خلال محاولتها الخروج بمؤشرات أساسية حول واقع ممارسة الصحافة الاستقصائية في بعض الصحف المصرية ورصد إشكالياتها والعقبات التي تواجه المحررين الاستقصائيين في هذه الصحف.

وتعتمد هذه الدراسة على منهج المسح الإعلامي بهدف مسح رؤى وتصورات المحررين الاستقصائيين بالصحف المصرية لواقع ممارسة التحرير الاستقصائي في

الصحافة المصرية ورصد رؤيتهم للإشكاليات والمعوقات التي تواجههم في ذلك، مع تصورهم لمستقبل ممارسة هذا النمط التحريري.

مجتمع الدراسة والعينة:

يتمثل مجتمع الدراسة في جميع المحررين الذين نفذوا تحقيقات استقصائية نُشرت ببعض الصحف المصرية خلال الفترة الماضية، ونظرا لتركيز الدراسة علي الصحف التي تأسست بها وحدات متخصصة في الصحافة الاستقصائية، فقد تم تحديد مجتمع الدراسة في صحف "الوطن – المصري اليوم – اليوم السابع"، وهي الصحف المصرية التي اهتمت بتأسيس وحدات متخصصة في الصحافة الاستقصائية ضمن أقسام التحقيقات بها.

ونظرا لصغر حجم مجتمع الدراسة فقد اعتمدت الدراسة علي أسلوب الحصر الشامل للمحررين الاستقصائيين بالصحف الثلاث إضافة إلي محرر واحد في جريدة الأهرام، وتبين للباحث أن عددهم (٢٥ محررا ومحررة)(*) في أربع صحف (٩ محررين بجريدة الوطن)، (٨ محررين بجريدة المصري اليوم)، (٧ محررين بجريدة اليوم السابع)، (محرر واحد بجريدة الأهرام)، وقد تم استثناء بعض المحررين الذين انضموا حديثا وقت إجراء مقابلات الدراسة مع المحررين نظرا لعدم وجود خبرة لديهم تفيد في نتائج الدراسة.

أدوات جمع البيانات:

فى إطار إنجاز الأهداف المحددة للدراسة الراهنة تم الاعتماد على دليل المقابلة، وقد اعتمد الباحث علي هذه الأداة في إجرائه لمقابلات متعمقة مع المحررين الاستقصائيين في الصحف المصرية بهدف رصد مدى إدراكهم وتحليلهم لمفهوم الصحافة الاستقصائية ودورها وتحديد رؤيتهم فيما يتعلق بالإشكاليات التى تعترض طريق تنفيذ الأسلوب الاستقصائى فى الصحافة المصرية، فضلا عن تصوراتهم لمستقبل ممارسة هذا النمط في ضوء تقييمهم للواقع وإشكالياته.

نتائج الدراسة:

اتسمت المقابلات مع المحررين الاستقصائيين بحيوية النقاش وحماس كثير منهم لموضوع الدراسة وأبدوا سعادتهم بالاهتمام الأكاديمي بنمط الصحافة الاستقصائية وهو ما اعتبروه صدي جيدا لما يقومون به من مجهود فى

تنفيذ تحقيقاتهم، وقد تضمن دليل المقابلة مجموعة من المحاور الرئيسية التي دار حولها النقاش، وفيما يلي نعرض أبرز النتائج التي كشفت عنها المقابلات المتعمقة مع المحررين الاستقصائيين في الصحف المصرية:

- شهدت المقابلات اتفاقا بين المحررين الاستقصائيين حول مجموعة من الأسباب التي دفعتهم إلي التخصص في تنفيذ التحقيقات الاستقصائية على الرغم مما تتطلبه من وقت وجهد كبيرين فضلا عن المخاطرة مقارنة بالفنون التحريرية الأخري، وأبدوا تأكيدا علي الرغبة في الإصلاح وأهمية الصحافة الاستقصائية بالنسبة للمجتمع من خلال ما تكشف عنه من تجاوزات وأخطاء تضر بمصالح المجتمع في مختلف المجالات، وجاء ذلك في مقدمة أسباب اشتغالهم بالصحافة الاستقصائية علما بأن معظمهم كانوا محررين في أقسام أخري سواء بالصحيفة التي يعملون فيها حاليا أو الصحف التي سبق لهم العمل فيها.
- أشار المحررون الاستقصائيون أيضا إلي ما تؤدي إليه ممارسة العمل الاستقصائي من تحقيق التميز المهني علي مستوي الجريدة والمستوي الصحفي العام كأحد الأسباب، فضلاً عن تعلم مهارات جديدة في العمل الصحفي وتطوير القدرة علي التحليل والتفكير المنهجي الأقرب للبحث العلمي الذي يكتسبونه خلال هذه الممارسة، وتطرق البعض إلي أن نشر التحقيقات الاستقصائية يحقق لهم الشهرة وذيوع الصيت في الوسط الإعلامي وبين القراء وما يستتبعه من عبارات الثناء والحث علي استكمال المسيرة، وهو ما يشجعهم علي الاستمرار في العمل الاستقصائي رغم حجم المعاناة التي يواجهها كل منهم في كل تحقيق استقصائي ينفذه، فضلا عن فرصة الحصول علي الجوائز المصرية والعربية التي تخصصها بعض الجهات المعنية بالصحافة الاستقصائية سنويا.
- لقيت مسألة التدريب والحصول علي دورات تدريبية متخصصة في الصحافة الاستقصائية اهتماما خاصا لدي المحررين الاستقصائيين؛ حيث أجمعوا علي أنهم حصلوا علي دورات تدريبية متخصصة في الصحافة الاستقصائية، نظرا للطبيعة الخاصة والمهارات التي يتطلبها هذا اللون من التحرير الصحفي، وقد لاحظ الباحث أن كل هذه الدورات المتخصصة نظمتها شبكة "إعلاميون من أجل صحافة استقصائية عربية "أريج"(*)، وأشاروا إلي أن هذه الدورات شملت

مهارات اختيار أفكار التحقيقات الاستقصائية وطريق تنفيذها وكتابتها، إضافة إلي الثقافة القانونية اللازمة لممارسة الصحافة الاستقصائية، وأخلاقيات العمل الاستقصائي، واستخدام الحاسب الآلي والانترنت في التحري وجمع المعلومات.

- حول آلية وضع خطة العمل بالوحدات الاستقصائية، أجمع المحررون الاستقصائيون علي أن أعضاء الوحدة من المحررين الاستقصائيين هم الذين يضعون خطة العمل من خلال اجتماعات دورية يدعو إليها ويديرها رؤساء الوحدات الاستقصائية، ويقوم فيها كل محرر بتقديم فكرة أو أكثر لتحقيق استقصائي يرغب في تنفيذها، وبعد عرض جميع الأفكار من المحررين والنقاش حول إمكانية وآليات تنفيذها يتم الاتفاق علي مجموعة من الأفكار بعد تنقيحها وتعديلها، بعدها يقوم رئيس الوحدة بعرضها علي إدارة التحرير مع التأكيد أن هذا الإجراء من باب إحاطة رئيس التحرير علما بها لتوفير الدعم المادي اللازم لتنفيذ الأفكار، حسب تأكيد رؤساء الوحدات الاستقصائية خاصة في جريدتي الوطن والمصري اليوم.
- أشار بعض المحررين إلي أن تنفيذ التحقيقات الاستقصائية يخضع لأسلوب التناوب بين المحررين الاستقصائيين بمعني أنه يتم العمل علي تنفيذ فكرة أو فكرتين علي الأكثر يتفرغ لهما المحرران، في حين يهتم باقي محرري الوحدة بالمتابعات والتحليلات اليومية العادية، وبعد الانتهاء من تنفيذ التحقيق وكتابته وتسليمه لرئيس الوحدة يتم تفرغ محرر آخر أو اثنين وهكذا.
- تطرق النقاش إلي مصادر المحررين الاستقصائيين في تحديد أفكار التحقيقات الاستقصائية وموضوعاتها التي ينفذونها في الوحدات الثلاث، ومعاييرهم في اختيار موضوعات دون أخري، وموقف إدارة التحرير بكل جريدة من ذلك، وأظهر النقاش إجماع المحررين علي أن الحسّ الصحفي والواقع المعاش يأتيان علي رأس مصادر اختيار أفكار التحقيقات الاستقصائية وموضوعاتها تليها متابعة ما ينشر في وسائل الإعلام المختلفة التقليدية والالكترونية من أخبار تصلح كنواة للمعالجة المتعمقة باستخدام آليات تنفيذ التحقيق الاستقصائي، وكذلك التقارير الرسمية للجهات والهيئات المتخصصة حول قضايا معينة، وقد

أشار بعضهم إلي أن بعض الزملاء (الأصدقاء) في الجريدة أو في الجرائد الأخري يطرحون -أحيانا- أفكارا علي زملائهم في الوحدات الاستقصائية، بيد أن الرغبة الشخصية للمحرر الاستقصائي واقتناعه بالفكرة ومدي قدرته علي تنفيذها علي الوجه الأمثل تظل هي المحدد الرئيسي -حسب تأكيد البعض- لقبول فكرة تحقيق واستبعاد أخري.

- فيما يتعلق بمعايير اختيار الموضوعات والأفكار التي يطرحونها للنقاش في اجتماعاتهم الدورية للوحدة لإقرارها والبدء في تنفيذها، أجمع المحررون في الوحدات الثلاث علي التأكيد علي أن أهمية القضية لها دور رئيسي في اختيار موضوعات التحقيقات الاستقصائية، خاصة تلك التي تكشف فسادا أو تجاوزات في مختلف المجالات علي أن يكون الكشف عن هذا التجاوز أو الفساد يصب في مصلحة المواطنين ويحقق المصلحة العامة، فضلا عن جماهيرية القضية أي أنها تمس مصالح أكبر عدد من المواطنين.
- حول تصورهم لأهمية الصحافة الاستقصائية في بيئة العمل الصحفي المصري، أكد المحررون الاستقصائيون علي أن التحقيقات الاستقصائية ذات أهمية كبري بالنسبة للصحف بصفة خاصة، وأكد البعض علي أن الصحافة الاستقصائية فرصة هذه الفترة لتكون داعما للإصلاح والشفافية والمحاسبة، فهناك العديد من الملفات والقضايا خاصة بعد ثورة يناير ٢٠١١ لابد للصحافة الاستقصائية تناولها مثل ملفات التعليم والصحة والاقتصاد وغيرها، واعتبروا التحقيقات الاستقصائية الوسيلة الوحيدة التي تميز صحيفة عن أخري من ناحية، وتميزها عن غيرها من وسائل الإعلام من ناحية أخري، في وقت أصبحت فيه الوسيلة التي تقدم خدمة أفضل للقارئ هي التي تعيش وتستمر.
- عكست النقاشات وآراء المحررين الاستقصائيين إجماعا حول التأثيرات السلبية للقوانين المنظمة للعمل الصحفي في مصر، في إطار التأكيد علي أنها غير مناسبة لممارسة الصحافة الاستقصائية بشكل مرض، ولفتت الآراء إلي ما يفرزه هذا المناخ التشريعي من تحديات تقف عائقا أمام المحرر الاستقصائي في جميع المراحل التي يمر بها في تنفيذ تحقيقاته الاستقصائية، الأمر الذي يضطرهم إلي توخي الحذر في كل خطوة ومحاولة تجنب الوقوع تحت طائلة

القوانين والنصوص التي تمثل قيدا علي ممارسة الصحافة الاستقصائية، خاصة وأن هذه القوانين لم تمثل قيدا علي ممارسة العمل الاستقصائي فقط، بل لا توفر حماية للمحرر الاستقصائي أصلا.

- تبين من خلال النقاشات المتعمقة مع المحررين الاستقصائيين أن هناك إجماعا بينهم علي مجموعة من الإشكاليات والصعوبات التي قابلتهم وتقابلهم عند تنفيذ التحقيقات الاستقصائية، يأتي في مقدمتها غياب وجود قانون يتيح الإطلاع على الملفات والمعلومات مع التأكيد علي اعتباره أبرز الإشكاليات التي تعوق ممارسة العمل الاستقصائي في مصر، ولعل ذلك يرتبط بطبيعة الحال بالمناخ التشريعي كأهم معوقات ممارسة العمل الاستقصائي بما يتضمنه من قيود تضعف من فرصة النهوض بالصحافة الاستقصائية، وتأتي شكوي المحررين الاستقصائيين ومعاناتهم من غياب قانون إتاحة الحصول علي المعلومات والوصول إليها في ضوء ما عايشوه من تجارب وخبرات واقعية أثرت علي طريقة أدائهم في العمل الاستقصائي إلي درجة قد تصل إلي نسف الفكرة الاستقصائية بالكامل بعد أن تكون قد استغرقت من المحرر وقتا طويلا نتيجة عدم تمكنه من الحصول علي مستند معين أو وثيقة تثبت واقعة فساد يتضمنها التحقيق، في ظل تخوفه من أن حصوله عليها بطريقة غير قانونية يعرضه للمساءلة القانونية، فيضطر إلي التأجيل والشروع في تنفيذ فكرة أخري أو العدول عنها أصلا.
- أشار أغلب المحررين إلي أنهم يلجأون إلي التنكر وإخفاء الهوية الصحفية للحصول علي المعلومات والمستندات التي تثبت ما يثيرونه في تحقيقاتهم، وكثيرا ما يضطرون إلي الحصول عليها بصفة ودية من خلال العلاقات الشخصية، وهذا ما قد يعرض بعضهم للمساءلة خاصة إذا كانت المستندات سرية.
- تأتي إشكالية الوقت الذي يتطلبه تنفيذ التحقيقات الاستقصائية في مرتبة تالية، خاصة أن هذه النوعية من التحقيقات تتطلب تخصيص مزيد من الوقت نظرا لطبيعتها الخاصة بالتوثيق والحصول علي المستندات والأدلة التي تثبت كل ما يكتبه المحرر الاستقصائي في تحقيقه وما يكشف عنه من مخالفات

أو تجاوزات، وما يزيد من حدة هذه الإشكالية هو عدم اقتناع قيادات الصحف بضرورة تفرغ المحرر لتنفيذ التحقيق الاستقصائي الذي يقوم به، حيث يكون المحرر مطلوبا منه متابعة الأحداث اليومية وبصفة خاصة في المرحلة التي تلت ثورة ٢٥ يناير وما شهدته من أحداث متعاقبة ومتسارعة أثرت علي أجندة اهتمام كثير من وسائل الإعلام في مصر ومنها الصحف، إلي درجة أن رئيس تحرير إحدي الصحف التي بها وحدة صحافة استقصائية طلب من أعضاء الوحدة التوقف عن تنفيذ أية أفكار استقصائية للتفرغ لمتابعة الأحداث الجارية، حتي إنه لو انتهي المحرر من تنفيذ التحقيق الاستقصائي وكتابته يؤجل رئيس التحرير نشره لحين هدوء الأجواء السياسية وقد يستغرق ذلك أسابيع وأحيانا شهرا أو أكثر حسب تأكيد بعض المحررين من أفراد العينة.

خاتمة الدراسة:

ختاما، يمكن القول إنه علي الرغم من ازدهار الصحافة الاستقصائية خلال السنوات القليلة الماضية في بعض الصحف المصرية واتجاه هذه الصحف نحو تأسيس وحدات متخصصة في الصحافة الاستقصائية من ناحية، وما أحدثته بعض التحقيقات الاستقصائية التي نفذتها هذه الوحدات الاستقصائية ونشرتها من تأثير وإصلاح من ناحية أخري، إلا أنه لا يمكن إغفال أن هناك تحقيقات أخري لم تحدث التأثير بالشكل المطلوب نتيجة تقاعس المسئولين أو عدم وجود تشريعات تخضعهم للمساءلة والمحاسبة، كما أن هناك تحقيقات أخري لم تؤد إلي نتيجة أصلا، بل إن بعض المسئولين أو أصحاب المصالح الذين تثبت هذه التحقيقات تجاوزاتهم أو فسادهم يهددون المحررين بملاحقتهم قضائيا وتهديدهم بالحبس نتيجة القيود المتعددة التي تفرضها التشريعات المنظمة للعمل الصحفي علي ممارسة الصحافة بصفة عامة والصحافة الاستقصائية بصفة خاصة.

ويمكن إرجاع ذلك إلي ثقة أصحاب المصالح أن المناخ العام في مصر في ظل أحداث الفترة الانتقالية التي أعقبت ثورة يناير يضعف من أثر كثير من هذه التحقيقات الاستقصائية، فحتي الجريدة نفسها قد تنشر التحقيق ولا تهتم بمتابعة ردود الأفعال ونشرها نتيجة انشغالها أو انشغال المحرر نفسه بمتابعة الأحداث السياسية التي تستجد علس الساحة من ناحية، وعدم انتشار ثقافة

الصحافة الاستقصائية التي تحشد الرأي العام من ناحية أخري، وفوق كل ذلك القصور التشريعي وغياب المحاسبة والمساءلة.

وعلي الرغم من حالة التفاؤل التي أبداها المحررون الاستقصائيون لازدهار الصحافة الاستقصائية في مصر مستقبلا، إلا أنه لا يمكن إنكار حقيقة أن ثقافة الصحافة الاستقصائية لم تنتشر بالقدر الكافي بعد، فالتحقيقات الاستقصائية تحتاج تمويلا ماديا وتتطلب تفرغا من قبل المحرر، إضافة إلي مدي تفهم إدارة التحرير واقتناعها بأهمية التحقيقات الاستقصائية، وكما يقول أحد المحررين الاستقصائيين "للأسف فى أغلب الصحف المصرية تتعامل إدارة التحرير مع الموضوعات الصحفية بـ"الكيلو" علي عكس الصحافة الغربية، كما أن التحقيقات الاستقصائية ترتبط أيضا بثقافة تفرغ صحفي بالجريدة للسعي وراء قصة صغيرة ولكنها مهمة ومؤثرة للكشف عن جميع جوانبها، فهذا يرتبط بتفهم رئيس التحرير ولكن في حال تغير رئيس التحرير هل يستمر هذا النمط من الصحافة؟"

ويتفق الباحث مع رأي المحرر في أن مستقبل الصحافة الاستقصائية في التجربة المصرية لا يزال مرتبطا بمدي تفهم قيادات الصحف أنفسهم واقتناعهم بجدوي التحقيقات الاستقصائية في ظل المنافسة في تحقيق السبق الصحفي وتقديم تغطية إخبارية مستمرة من ناحية، وما تتطلبه هذه التحقيقات من تمويل مادي ودعم قانوني وتفرغ المحرر من ناحية أخري، كما أن هذا المستقبل أيضا مرتبط بالتشريعات الصحفية الملائمة لممارسة العمل الاستقصائي علي رأسها إقرار قانون الحصول علي المعلومات وتأمين حق الصحفي في الحصول علي المعلومات من الجهات والمؤسسات بما يخدم التحقيقات الاستقصائية التي ينفذونها والتي تهدف في مجملها إلي الكشف عن التجاوزات والمخالفات وصولا إلي الإصلاح والتغيير نحو الأفضل فى مختلف قطاعات المجتمع.

المراجع

(١) لمزيد من التفاصيل، **انظر:** لجنة الشفافية والنزاهة: أولويات العمل وآلياته، وزارة الدولة للتنمية الإدارية، التقرير الثاني، أغسطس ٢٠٠٨.

(٢) صلاح الدين حافظ: التحرى الصحفى فى مصر، ***ورقة مقدمة لندوة التحري الصحفي***، نظمها مركز الأفق الثقافى ومؤسسة كونراد إديناور، الأردن، ١٩٩٦.

(3) Hugo de Burgh; Introduction, ***In:*** Hugo de Burgh et.al; Investigative Journalism, 2nd ed (London and New York: Routledge, 2008) P: 3.

(4) V. Malarek; What it Takes to Be an Investigative Reporter, ***In:*** D. Logan (ed.); Journalism in the New Millennium (Vancouver: Sing Tao School of Journalism, 1998) P: 95.

(5) S. Tanner; Introduction, ***In:*** S. Tanner (ed.); Journalism: Investigation and Research (Frenchs Forest, NSW: Longman, 200٢).

(٦)عيسى عبد الباقى موسى: معالجة الصحف المصرية لقضايا الفساد: دراسة تحليلية ميدانية، **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة جنوب الوادى، كلية الآداب بقنا، قسم الإعلام، ٢٠٠٤، ص: ١٨٨.

(7) David Spark: Investigative Reporting: A study in Technique, 1st ed. (London: Focal Press, 1999) P: 6.

(8) Derek Forbes; A Watchdog's Guide to Investigative Reporting "A simple Introduction to principles and practice in investigative reporting (South Africa: Konrad Adenauer Stiftung Media Programme, 2005) P: 6.

(9) M. Greenwald and J. Bernt (eds); The Big Chill: Investigation Reporting in the Current Media Environment (Ames: Iowa State University Press, 2000) P: 4.

(10) R. Armao; The History of Investigative Reporting, ***In***: M. Greenwald and J. Bernt (eds) The Big Chill: Investigative Reporting in the Current Media Environment (Ames: Iowa State University Press, 2000) P: 43.

(11) H. de Burgh (ed.); Investigative Journalism: Context and Practice (London: Routledge, 2000) P: 9.

(12) D. Leigh; Global Disclosure, ***MediaGuardian***, 31 January, 2000, ***Retrieved from:*** www.media.guardian.co.uk.

(13) R. Armao; The History of Investigative Reporting, ***In***: M. Greenwald and J. Bernt (eds) The Big Chill: Investigative Reporting in the Current Media Environment (Ames: Iowa State University Press, 2000) P: ٣٦.

(14) Rana **Sabbagh; Investigations in the Arab world take root amid danger, obstacles,** *IRE International Magazine*, **Summer 2010, p:14-15,** *Retrieved from:* http://arij.net/en/investigations-arab-world-take-root-amid-danger-obstacles

(15) Guia Regina Baggi; Nonprofit Investigative Journalism in Europe: Motives, Organizations and Practices, ***Unpublished Thesis Master Of Arts (MA)***, The University of Hamburg, 2011.

(16) Gerry Lanosga; The Press, Prizes And Power: Investigative Reporting In The United States,1917-1960, ***Unpublished Dissertation Doctor of Philosophy (PHD)***, the School of Journalism, Indiana University, 2010.

(17) Gerry Lanosga; God Help Our Democracy: Investigative Reporting in America 1946-1960, ***Paper presented at the annual meeting of the Association for Education in Journalism and Mass Communication***, *Sheraton Boston, Boston, MA*, Aug 05, 2009, ***Retrieved from***:
http://www.allacademic.com/meta/p374837_index.html

(18) Andrew D. Kaplan; Investigating the Investigators: Examining the attitudes, perceptions, and experiences of investigative journalists in the internet age, ***Unpublished Dissertation Doctor of Philosophy (PHD)***, The University of Maryland, College Park, 2008.

(19) Mark Feldstein; A Muckraking Model: Investigative Reporting Cycles in American History, ***The Harvard International Journal of Press/Politics***, Vol. 11, No. 2, 2006, Pp: 105-120.

(20) James L Aucoin; IRE and the evolution of modern American investigative journalism, 1960-1990, ***Dissertation Doctor of Philosophy (PHD)***, University of Missouri-Columbia, 1993.

(21) Jingrong Tong; Geographical Differences in Investigative Journalism in China: Investigative Journalism, Metropolis Newspapers, and Places, ***Paper presented at the annual meeting of the International Communication Association***, TBA, Boston, MA, May 25, 2011, ***Retrieved from***:
http://www.allacademic.com/meta/p488375_index.html

(22) Samuel Ihediwa; Investigative Journalism in Malaysia: A study of two English Language Newspapers, ***Paper Presented to:*** International Conference on Social Science and Humanity (IPEDR), vol.5, 2011, Pp: 193-197.

(٢٣) شيم عبد الحميد قطب: رؤية القائم بالاتصال للعوامل المؤثرة على الصحافة الاستقصائية فى مصر بالتطبيق على موضوع موتى السجون، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمى الدولى السادس عشر "قضايا الفقر والمهمشين بين الواقع والتحديات"، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، فى الفترة من ١٣ – ١٥ يوليو ٢٠١٠.

(24) Jingrong Tong, Colin Sparks; Investigative Journalism In China Today, Issue 3, June 2009, Pp: 337-352.***Journalism Studies,*** Vol. 10,

(25) Barry Saunders; Citizen Media and Investigative Journalism, ***Honours these***, Creative Industries - Media and Communication, Queensland University of **(26/2/2010)**.http://eprints.qut.edu.auTechnology, 2006, ***Retrieved from:***

(*) نشير هنا إلي أن ثلاث صحف فقط من الأربع تأسست في كل منها وحدة صحافة استقصائية وهي (الوطن – المصري اليوم – اليوم السابع) بدعم من شبكة "أريج" الأردنية، أما الأهرام فلا يوجد فيها وحدة متخصصة رغم صدور قرار إداري بإنشائها، ولكن محررها أنجز التحقيق الاستقصائي المنشور له بشكل فردي بالتعاون مع الشبكة المذكورة، وننوه إلي أن العدد الفعلي للمحررين الاستقصائيين بالصحف الثلاثة التي بها وحدات متخصصة يفوق ذلك بقليل، إلا أن الباحث ركز علي المحررين الاستقصائيين الذين أنجزوا تحقيقات استقصائية نشرت خلال السنوات الماضية حتي يستطيع إفادة الباحث في موضوع الدراسة وخاصة فيما يتعلق برصد الإشكاليات والعقبات التي تواجههم في العمل الاستقصائي، لذلك تم استبعاد المحررين المنضمين حديثا لهذه الوحدات.

(*) شبكة "أريج" اختصار لـ"شبكة إعلاميون من أجل صحافة استقصائية عربية" (ARIJ) Arab Reporters for Investigative Journalism، مقرها الأردن، وهى أول منظمة غير ربحية تخط طريق صحافة الاستقصاء بمنهجية متقدمة في عدد من الدول العربية، وأنشئت فى مطلع ٢٠٠٥ بهدف دعم الصحافة المستقلة ذات المهنية العالية والنوعية المتميزة، وذلك من خلال تمويل مشاريع إعلامية